حديث المعرفة

قراءة اسلوبية

Speeches of Knowledge

Stylistic Reading

أ.د: رحمن غركان

جامعة القادسية / كلية التربية

قسم اللغة العربية

Prof. Dr. Rahman Gharkan

University of Al-Qadesiya

College of Education

Department of Arabic

ملخص البحث

قدم البحث قراءة في حديث المعرفة اتخذت من مكونات الاسلوب الستة: (المعجم، الإيقاع، التركيب، التصوير، البناء، المعنى) آليات قراءة لأجل اظهار خصائص الاداء الاسلوبي في كشفها عن المعنى النبوي وتعبيرها عنه، وقد اجتهدت القراءة في بيان الحقول الدلالية التي توزع المعجم عليها والصورة الإيقاعية التي انتظم عليها بناء الحديث في التعبير عن المعنى ،وخصوصية التركيب في لغة الحديث موصولة بالمعنى النبوي المعبر عنه، وأسلوب التصوير البياني الرئيس اعني (التشبيه) وكيفية اداء المعنى بالصدور عنه.

وبناء الحديث بشكليه: الافقي والعمودي وصلتهما في الايحاء بالمعنى بوصفه مجموعة معيطات عقلية وعاطفية وروحية صيغت ببيان نبوي حاملة معنى نبوياً شاملاً في قصديته الإبلاغية غير مقيد بزمان او مكان، عاماً في انسانيته غير محدد بفئه او قومية، موصولاً بالتعبير عن الحياة والإيحاء بكيفية بنائها بوصفها حقائق دائمة الازدهار أكثر منها وقائع متغيرة لا ثوابت لها، لذا عملت القراءة على تأمل أسلوب الحديث موصولاً بكيفية ادائه المعنى التعبيري.

...Abstract...

The research paper has presented a reading in the speeches of knowledge based on six components; encyclopedia, rhythm, composition, imagery, construction and content. The reading mechanisms are to present the characteristics of the stylistic performance in revealing the prophetic content and its expressions. The reading exerts itself in exposing deductive fields the dictionaries used, the speech mechanisms transpire the content depending mainly upon the imagery. The importance of the construction in the language of communication is related to the expressive prophetic content and the acts of resemblance to have the content without referring explicitly to it.

Speech erecting, vertically and horizontally, appertains to the content , a heap of intellectual, emotional and spiritual results coined at a prophetic declaration promulgating universal prophetic content in a poetic poem not delimited to time or place, being universally humanitarian, not addressing a denomination or a nationality, expressing life and how to develop it as it is regarded as more permanent prosperous facts, so the present study takes hold of both the speech policy and how to perform the expressive content.

... تقديم ...

تجتهد هذه القراءة في تأمل حديث المعرفة وقراءته اسلوبياً كشفاً عن خصائص أدائه الاسلوبي؛ في الركائز والمكونات أعني المكونات الثلاثة في المنهج: الاختيار والتوزيع والاتساع ومكونات الاداء الستة:المعجم والإيقاع والتركيب والتصوير والبناء والمعنى التعبيري الذي هو في الحديث الشريف معنى نبوي.ذلك ان حديث المعرفة؛ مكثف وشامل ودقيق خاص في آنٍ معاً، ويصدر عن افق تعبيري واحد، ونبض من أداء كلام مقصود، وبث خطابي شامل الأبعاد،فيه من نبوءات الكلام فيض،ومن نبوة القصد تبليغ، اذ جاء في الأثر أن الأمام: علي بن ابي طالب عليه السلام سأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن سنته فقال: **(المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب اساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمتي، والفقر فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حسبي، والجهاد خلقي، وقرة عيني في الصلاة)**.[1]

صدر الحديث عن أسلوب بياني واحد وهو التشبيه، وعن النوع البليغ منه، ممتداً على سبع عشرة جملة منه، كلها جمل إسمية،جاء فيها كل من المسند والمسند اليه معرفين، كان المسند في الجمل كلها معرفاً بـ (ال التعريف) بأستثناء الجملتين: الخامسة والسابعة عشرة اللتين جاءتا معرفتين بالإضافة، اما المسند اليه فكله معرف بالإضافة بإستثناء الجملة السابعة عشرة التي جاء فيها المسند اليه معرفاً بـ (ال التعريف) اما الجمل الست عشرة الأخرى فغلب عليها التعريف بإضافة المسند

اليه الى ضمير المتكلم،وفي الجملتين: الأولى والثانية أضيف الى اسم ظاهر مضاف الى ضمير المتكلم.[٢] ولما كانت المعاني النبوية هنا نبضاً شمولياً في الوجود وامتداداً سرمدياً في الزمان والمكان،فقد ناسبها وأضاء حالها هذا الأداء بالجمل الأسمية فقط من دون حضور لجملة فعلية واحدة. ولما كانت المعاني الموضوعية نبوية ذات قصد تبليغي وإيحاءات رامزة بثبوت حال الصدق فيها والحقيقة قبل الواقع لديها فقد اضاء تعريف المسند وعدم تنكير المسند اليه مقتضى حال الخطاب، وجهات البث التي يعنيها، هي انسانية عامة، اذ هي للناس كافة.

اما تسلسل الجمل الأسمية السبع عشرة فقد اتصف اسلوب التسلسل بخصيصتين ادائيتين: عقلية أومعنوية في المسند وحسية ذات نزوع اقناعي في المسند اليه وهو ماتلحظه القراءة على المستوى الأفقي لصياغة الجملة، اما المستوى العمودي فقد بدأ بما هو عام شامل أولاً؛ اعني: المعرفة والعقل.

وخلص الى ما هو خاص ذاتي ثانيا، اعني:الخُلُق والصلاة. وان نظرة متأملة في المسند (المشبه) في كل جملة تفصح عن نزوع معنوي، ولكن المسند اليه ينزع للحسية او اللفظ المجسد لمعنى الحسية، ومرد ذلك الى حضور الاقناع وقوة التأثير في صياغة خطابية كهذه لاتحققه الصياغات الاخرى:

١. المعرفة رأس مالي...
٢. والعقل أصل ديني...
٣. والحب أساسي...
٤. والشوق مركبي...
٥. وذكرالله أنيسي...

٦. والثقة كنزي...
٧. والحزن رفيقي...
٨. والعلم سلاحي...
٩. والصبر ردائي...
١٠. والرضا غنيمتي...
١١. والفقرفخري...
١٢. والزهد حرفتي...
١٣. واليقين قوتي...
١٤. والصدق شفيعي...
١٥. والطاعة حسبي...
١٦. والجهاد خلقي...
١٧. وقرة عيني في الصلاة...

ولم يأت اللفظ في صياغة الجملة فنياً خالصاً انما جاء ابلاغياً خالصاً، لاحتفاله بالمؤثر المقنع موضوعياً اكثر من صدوره عن الفني الموحي تأويلياً، فقد وضع الحديث عناصر المعرفة في الوجود وضعاً توصيفياً من جهة القصد وضعاً موصوفاً من جهة الصلة بالحقيقة اكثر منها بالواقع كونه متغيراً جزئياً أما الحقيقة فواحدة، لذا يضع الحديث بين يدي وعي التلقي عناصر المعرفة ووضعاً مكشوفاً كشفا ًباعثا على التأمل والتفكير المنتجين للتأويل لذا جاء الاختيار على مستوى اللفظ معبراً عن الوجود الكلي من دون تقيد بموجود جزئي، ومن ثمة خضع توزيع الجمل لعنصري:المجاورة والتوازي،اما المجاورة فبين (المشبه والمشبه به) أعني المسند والمسند اليه. وأما التوازي فبين كل جملتين على تتابع الجمل السبع عشرة،

أعني بين (المعرفة والعقل ثم الحب والشوق ثم ذكر الله والثقة ثم الصبر والرضا ثم الفقر والزهد ثم اليقين والصدق ثم الطاعة والجهاد) بما كان فيه اللفظ الأول من كل متوازيين مصدر ايجاد فيما جاء اللفظ الثاني حالة وجود، فالمعرفة ايجاد والعقل وجود والحب ايجاد والشوق وجود، وذكرالله ايجادوالثقة وجود، وهكذا، ولما جاءت عناصر الاختيار على مستوى اللفظ وكيفية التوزيع على مستوى الجمل خاضعة لنمط اسلوبي مخصوص في الاداء كان فيه المقال موصولاً بأشكال اتسع فيها اللفظ على المعنى من جهة التعبير،كما اتسعت جزئيات الأسلوب (التشبيه) من جهة الأداء، فجاء الخطاب السهل موصولاً بفائض تعبير، وبخصائص أسلوب؛ تستعصي سهولته على محاولات الأتيان بمثلها. وأن قراءة في مكونات الأداء الأسلوبي الستة، تذهب الى تعضيد هذا الوصف الذي أوجزته هذه التقدمة.

مكونات الأداء الأسلوبي

تنقسم مكونات الأداء الأسلوبي في حديث المعرفة النبوي على قسمين: **أولهما** يتضمن خمسة مكونات هي: المعجم والإيقاع والتركيب والتصوير والبناء. **وثانيهما** يتضمن مكوناً واحداً هو المعنى النبوي. وإنما كان المعنى نبوياً لأنه جنس في الكلام وليس نوعاً ومعنى من خطاب حقيقي دائم الحقيقة، وليس قصداً واقعياً مرحلي المعنى، أو مؤقت القصدية. ثم ان خصوصية الصدور جعلت للنص القرأني معنى قرانياً، وللحديث النبوي معنى نبوياً وعلى الضفة الأخرى من كلام الناس؛ للنص الشعري معنى شعري، وللنص المسرحي معنى مسرحي، وهكذا تتصل خصوصية المعنى بجهة الصدور أتصال تحديد وتوجيه وقصدٍ وتعبير.

أ) المكون المعجمي

تصدر مكونات المعجم في اي خطاب عن حاجة المعنى الى الثراء وحاجة المرسل الى التأثير والإقناع وكلما فاض المعجم بالتنوع وتعدد الحقول الدلالية دل ذلك على تمكن المرسل من عناصر الرسالة وكيفية الارسال،وكلما انتظمت عناصر المعجم على وفق اسلوب تعبيري معين دل على ذلك خصوصية المرسل من جهة (الأداء الأسلوب) وبعده عن الترهل اللفظي، لأنه مجتهد في الاقتصاد وفي اللفظ بقدر اجتهاده بفائض المعنى وثرائه في آن معاً.

وقد ضم حديث المعرفة تسعة وثلاثين لفظاً توزعت على سبعة حقول دلالية هي:حقل العقل وفيه (العقل والعلم والمعرفة). وحقل الحب وفيه (الحب والشوق والأنيس والرفيق والحزن وقرة العين). وحقل الأساس وفيه (الأساس ورأس المال والكنز والغنيمة والقوت والرداء) وحقل الدين وفيه (أصل الدين وذكرالله والصلاة والشفاعة والأخلاق واليقين) وحقل السلاح وفيه (السلاح والجهاد والصبر والقوة والمركب والحرفة) وحقل الكفاية وفيه (الكفاية والرضا والطاعة والزهد والصدق والثقة والفخر) وفي كل هذه الحقول الستة يحضر الموجه الاخلاقي بفاعلية ثابتة، ينزع الخطاب للإقناع بصياغات غير مرتجلة مع اتصالها باليومي المتحرك في الحياة وبالنبض الفاعل في تجلياتها حتى جاء المكون المعجمي متصفاً بخصائص الخطاب الإقناعي في:

- أضاءت فصاحة اللفظ جهات المعنى الإقناعي في الحقول الدلالية الستة التي توزعها الحديث، وقد اتصف تسلسل الحقول الدلالية الستة التي توزعها الحديث بتناسب دقيق من العقل وماعبر عنه الى الحب وما تجلى الى الأساس

وما أستقام عليه الى الدين وما استضاء به إلى الإسلام وما أحتيج إليه،وفي ختام الحديث الكفاية وما أستظل بها.

أفصح الأسلوب البياني الذي انبنى فيه معجم الحديث عن نزوع الإقناع بصياغات للمعنى تفيض بالتربوي الموجه،والعاطفي المتأمل وهيمنة الحسي الباعث على الأقناع.

- اتسم معجم الحديث بالإيجاز مع ألفاظ العقل: (عقل،علم،معرفة) والإفاضة في ألفاظ الشؤون الأخرى؛ ايحاء بأن العقل واحد وشؤون الحياة الأخرى تجليات فيه حيناً وعنه احياناً اخرى،كما جاءت (هيمنة التعريف) على الالفاظ كلها موصولة بغلبة الأسمية وغياب الفعلية، ذلك لان المعاني في الجمل السبع عشرة حقيقة دائمة الواقع، متحركة بين يدي الحياة حركة أزل وليس انتقالات مرحلية.

ب) المكون الإيقاعي

المكون الإيقاعي عنصر مستقر في تشكيل الخطاب الإنساني المعبر، فليس من نص فاعل الا وينتظمه نهج إيقاعي خاص يمثل أسلوب صياغة حيناً وأسلوب نظم احياناً أخرى أو الهاجس النفسي المبثوث فيه أو الاجتماعي الموجه له او الجمالي المنفعل به. فأسلوب صياغة الكلام وكيفية نظمه ينتجان سياقاً إيقاعياً، تجمع حركيته: المبنى والمعنى؛ فالنظم إيقاع صادر عن الألفاظ والعبارات من جهة الهيأة الحاصلة عن كيفية النقلة من بعضها الى بعض حتى تتعدد الأشكال الإيقاعية بحسب أشكال الوضع وأنحاء الترتيب.

أما الأسلوب فينتج عنه إيقاع صادر عن أوصاف حركات القول من ألفاظ وعبارات وكيفيات النقلة بينها وصلتها بغرض القول وكيفية الاطراد[٣]. وهذا التصور للإيقاع نلحظه في الشعر ونحسه في النثر على حد سواء، على ان عناصر الإيقاع الشعري خصوصاً تمتاز من عناصر إيقاع النثر، ويمتاز إيقاع القرآن الكريم بخصوصية صادرة عن تميزه عن كل فنون القول وأشكالها وقد قرأ ذلك دارسون كثيرون[٤] فالنظم وأسلوب التعبير رافدان يصنعان الإيقاع في النثر، ويمدانه بعناصر انتظامه وأشكال تحققه. لأن تناسب المعاني في الأسلوب بما يماثلها من كيفية في التوالي والاستمرار المتناسبين انما يصنع إيقاعا خاصاً. ثم أن تناسب التأليفات اللفظية في النظم بما يماثله من كيفية في توالي الألفاظ وتناسبها وتوالي العبارات والجمل وكيفية انتظامها؛ انتقالاً وترتيباً،كل ذلك يسهم في إيجاد الإيقاع في النص النثري. وفي حديث المعرفة الشريف يجيء الإيقاعي، بيانياً بلاغياً، حتى أجدني ذاهباً مع الرأي الذي يقول بأن الإيقاع البلاغي: حركة تنبثق عن الخلفيات الوجدانية والانفعالية للنفس المبدعة، وتتجسد من خلال العلاقات السياقية التي تولد بدورها حركة لغوية تتوافق مع حيوية النفس المبدعة وانفعالاتها فتفصلها عن متطلبات الجمود لتفسح المجال للعاطفة والانفعال الوجداني حيث يتكامل الجانبان في نفس المبدع، وإذ يبلغان النضج يولد العمل الفني او النص في صورة إيقاعية متكاملة.[٥]

نخلص من هذا الايجاز الى كون المكون الإيقاعي عنصراً فاعلاً في كل نص ابداعي مؤثر، سواء أ كان شعراً على تعداد أشكال الأداء أم نثراً على تعدد فنون النثر. بما يوجهني الى تشخيص عناصر المكون الإيقاعي في حديث المعرفة الشريف في مايأتي:

- صدور الحديث من أسلوب التشبيه البليغ من أول جملة تشبيهية (المعرفة راس مالي) الى اخر الجملة (وقرة عيني في الصلاة) وعلى امتداد سبع عشرة جملة جعل النص يصدر عن إيقاع من اسلوب بياني واحد،كانت الجملة الاولى فيه مرتكزاً تجلت الأخرى عنها بفائض من ثراء الخطاب.

- صدور الحديث عن اسلوب الصياغة الأسمية نمطاً إيقاعياً لافتاً جاء متناسباً مع شمولية المعاني وثبوت اتصالها بالحقيقة وتعبيرها عنها بما يدل على الديمومة والاستمرار، حتى بدا إيقاع الاسمية رتيباً متناغماً مع أصالة المعنى ونزعته الانسانية.

- غلبة التعريف بـ (أل) على المشبه وغلبة التعريف بـ (الاضافة) على المشبه به وتكرار ذلك بتتابع متناسب خلق نمطاً إيقاعياً مخصوصاً في الأداء.

- غلبة البث المعنوي الوجداني منه او العقلي او المنطقي في المشبه في مقابل شيوع البث الحسي في المشبه به خلق عنصر اداء إيقاعي اشاعه تكرار هذا المنحى في جمل الحديث كلها بأنحاء صياغية متناسبة.

- قصر جمل التشبيه السبع عشرة وتتابعها على نمط اداء واحد في التركيب وكيفية الصياغة خلق حساً إيقاعياً عززت مجساته تكرار الجمل على نمط صياغي متشابه العناصر جعل الصياغة تبث على لحن إيقاعي متشابه العناصر.

جـ) المكون التركيبي

هيمن على المكون التركيبي في حديث المعرفة نوعان تركيبيان، أولهما بلاغي

بياني وثانيهما نحوي دلالي فأما البلاغي فتمثل في التكرار والتفريع وأما النحوي فبدأ في التحول البنيوي الدلالي. يتمثل التكرار هنا في صورة الجملة وأسلوبها وتركيبها وليس في لفظها وجزء من معناها؛ لأن جملة (المعرفة رأس مالي) من مبتدأ وخبر أومشبه ومشبه به تكررت صورتها ونبض اسلوبها وأن أختلف البث الدلالي في كل جملة من سواها من الجمل السبع عشرة،حتى خلق هذا التكرار ملمحاً إيقاعياً أشرت اليه في المكون الإيقاعي وعناصرالتكرار تمثلت في: صورة الجملة وأسلوب العطف،والتعريف بـ (أل) في المشبه، والتعريف بـ (الاضافة) في المشبه به، وتتابع كل ذلك في جمل الحديث كلها على نحو من تناسب ثري الدلالة.

اما التفريع في لغة الحديث هنا فلا اخص به اصطلاح البلاغيين القدماء تحديداً، الذي يخصونه كما التكرار في اللفظ الظاهر انما اقصد المعنى قبل اللفظ، كما في التكرار الذي ذهبت اليه الأن.

فالتفريع هنا نظام تركيبي تتفرع الجملة الثانية والثالثة ومابعدها عن نظام الجملة الاولى وأسلوبها وكيفية تركيبها، بالشكل الذي تتابع فيه سلسلة الجمل – كما في الحديث الشريف هنا– تضافرا يجمعهما سلسلة متشابهة من العناصر ونمط أحادي من كيفية التركيب، بما تكون فيه الجملة الأولى مصدراً تصدر عن فاعليته الاسلوبية الجمل الأخرى فيما يشبه الترادف الدلالي الخاص. وهذا النمط التركيبي يناسب الخطابات ذات النزوع التوجيهي الأقناعي والبث الأرشادي الحافل بالمعاني الانسانية المحتفية بالشمول والمكتنزة بالحقيقية، على نحو يفصح عن الحقيقة ولايرمزلها ويبوح ولايوحي ويكشف عن القناع. والتفريع اذا تكثف في نص من خطاب أو في نص بعينه خلق نمطا إيقاعياً مؤثراً.

اما التركيب النحوي الماثل في عنصر التحول البنيوي الدلالي فيتضح في تتابع الجمل الاسمية وتناسبها وتآلفها وتماسكها حتى بدا الحديث بجمله السبع عشرة جملة واحدة من جهة وفيضاً من جمل ذات ثراء تعبيري من جهة اخرى، بمايعكس التماسك النحوي فاعلية البنية في كل جملة اسمية من جهة وثراء بثها الدلالي موصولة بسياق من تماسك نصي مع الجمل الأخرى من جهة ثانية. ويكشف هذا النمط عن نزعة عاطفية الى الأفصاح وتوق الى التبليغ وصفاء ذات ينزع الى اضاءة الأخرى، لذا تجيء بلاغة التركيب مكتنزة بتماسك عضوي دلالي.

د) المكون التصويري

حين يرسم نص نثري موجّه صورة معينة فانه يصوغها بنسق لغوي صياغة ذات اداء اقتصادي مكثف تقترب الألفاظ فيها من ان تكون رموزاً دالة على معانٍ يريدها ذلك نص بما تجيء الصورة كما ذهب الى ذلك الجرجاني ؛ ابداعاً ذهنياً يحيل إلى إحساس بالأشياء والوقائع صادر عن نمط من الإدراك الحسي لها.[٧]

فهي أحساس من جهة الأدراك وهي ابداع من جهة الأداء وهي انجاز للمعنى وتحقيق له، وهنا يسهم الخيال بقوة في صيرورتها. ولكن الخيال في لغة الصورة في الحديث الشريف، كما في (حديث المعرفة) بوصفه أنموجاً خيال موصول بالواقع وصادر عنه ومتصل بالحقيقة ومعبر عنها تعبير كشف وإيضاح وإقناع، لذا يهيمن عليه النزوع الحسي بما يجعله في متناول وعي المتلقي قريباًمن بصره، فاعلاً في بصيرته فعل دلالة اولاً ثم فعل تأملٍ باعث على التفكير. وجاءت الصورة في حديث المعرفة صادرة عن اسلوب التشبيه البليغ، بما بدا المعاني في كل جملة من نتاج تحاور دلالي

اوتشارك موحٍ بين المشبه ذي البث المعنوي والمشبه به ذي البث الحسي فجاء تشبيه المعرفة برأس المال كاشفاً عما يشبه المشاركة الدلالية في انتاج المعنى بين المعرفة ورأس المال للإيحاء بمعنى المنبع او المصدرأو ديمومة الثراء، وهكذا التشارك بين العقل وأصل الدين للايحاء بمعنى الاسس والثوابت او المحدودات التي يقبلها المنطق، وهكذا بين الحب والأساس في معنى الثابت الفطري الدائم الازدهار،وبين الشوق والمركب في معنى الحركة المثمرة او الحركية الايجابية الدائمة، وبين ذكر الله والأنيس في معنى التكامل والايحاء الدائم الازدهار، وبين الثقة والكنزفي معنى الثراء الروحي والمادي في آن معاً، وبين الحزن والرفقة في معنى غياب الخلود عن الزائل او قل عدم جدوى الانقياد للزائل او الحزن على المؤقت توقاً للدائم، وبين العلم والسلاح في معنى الحماية والأمان والاطمئنان، وبين الصبر والرداء في معنى الحماية والدفاع، وبين الرضا والغنيمة في معنى القناعة وبين الزهد والحرفة في معنى الانتماء للحياة الحقيقية وليست الواقعية، لأن الحقيقة فطرة سماء والواقع صورة ارض متغيرة. وبين اليقين والقوت في معنى ديمومة الحياة، وبين الصدق والشفاعة في معنى الانتماء للصواب بوصفه حقاً مراداً،وبين الطاعة والكفاية في معنى الانقياد لله سبحانه، وبين الجهاد والخلق في معنى الصبرعلى شؤون الدنيا وتناقضاتها بيقين من اتجاه الهي واحد، وبين الصلاة وقرة العين في معنى الاطمئنان الذي لا شائبه فيه ولا انكسار فهو فرح بالله دائم. ومما تستنتجه القراءة من لغة الصورة التشبيهية مايأتي:

- المجاورة بين المشبه والمشبه به تفيض بما يبعث على الأقناع العقلي هو ماتنزع اليه لغة الصورة في مستوييها: الظاهروالعميق، لاحتفالها بالحقيقة فطرة وجود،وتوجيههما الواقع ليكون حقيقة ايجاد ايجابي في معانيه الانسانية.

- كل جملة رسمت صورة تبليغية افصحت عن معنى الديمومة والتواصل الايجابي، واقتران المعنى بالدائم الايجابي اي الانساني العام، لان التبليغ انساني شامل فهو للناس كافة، وهو من سمات النبوة المشرفة.

- الصورة في كل جملة ليست للجمال الفني المحتفي بالزينة الباعثة على الاغراء، انما هي للتأثير الباعث على الحقيقة التي يمثّل كشفها للمتلقي مفاجأة تدهش ادهاشاً يتآزر فيه الفني بالعقلي والذوقي بالوجداني، وأثر ذلك يكون الجمالي صادراً عن الصورة الكاشفة عن الحقيقة لتكون الحقيقة المكشوف عنها هي الجمال، بما تجيئ كيفية الكلام البيانية اداء جماله معنى الحقيقة كما كشفت عنها صورة الكلام.

هـ) المكون البنائي

اتصف بناء الحديث بتماسك عضوي لصدوره عن اسلوب صياغة واحد، تبدت عنه الجمل الاخرى في مستوى افق تبليغي واحد، فجاء الحديث افقياً منفتحاً على التعدد بما بدا بناؤه جارياً كالنهر فأولّه: (المعرفة رأس مالي) واذا كان ختامه في الجملة السابعة عشرة بـ (قرة عيني في الصلاة) فان الامكان يبقيه مفتوحاً على جمل اخرى يصدر الكلام فيها عن صفات سنة رسول الله ﷺ ومعانيها الشريفة، بما جعل بناء الحديث افقياً اشبه بـ (اللانهائي) ايحاءاً بأن سنة الرسول الأكرم الخاتم أولها أرضي هو المعرفة بوصفها رأس مال الناس في الدنيا، وأخرها ممتد الى السماء ومن معانيه هناك ان قرة العين الصلاة في الأخرة فجاء المكان في الحديث متسعاً واسعاً أوله أرضي وآخره سماوي، ولما جاء الحديث مبنياً بصياغات من جمل اسمية فأن سرمدية المكان تصبح ممكنة وتشبهها سرمدية الزمان ايضاً، لأن المعاني النبوية المعبّر عنها

فيض من نبوة أولها في الأرض وأخرها في السماء وبثراء من تواصل واستمرارية، لاتترددفيه الافعال ولاتتبادل فيه الادوار الاماكن والاشخاص، بمعنى ليس هناك من نزوع درامي لحركة الزمان والمكان، لأن الحقيقة سكونها حركة وأزليتها أماكن.

أما بناء الحديث عمودياً فيحفل بما يبعث على الأقناع فجاء اسلوب الصياغة مضيفاً شيئاً على شيء آخر إضافة إفاضة وإقناع وليس إضافة زيادة وترهل وهكذا تسلسلت المشابهات (المعرفة،العقل،الحب، الشوق،...) ثم المشبه به (رأس المال أصل الدين،الأساس،الانس،...) وكل ذلك يكشف عن تنوع الاشياء وتراتبها وليس تشظيها وتراكمها، وكل ذلك يستدرج وعي المتلقي ويستميل اصغائه، بما يكون التبليغ فيه مفضياً إلى الإقناع والإفصاح فيه مؤدياً إلى الوضوح.

وقد اتصف البناء من جهة مكوناته بتشابه العناصر بشكل لافت من خلال هيمنة الجملة الاسمية،تعريف المسند بـ (ال) والمسند اليه بالإضافة، غلبة المعنوي على ايحاء المسند والحسي على المسند اليه، البدء من المشترك الانساني (المعرفة رأس مال والختام بالخصيصة الايمانية في الانسان (قرة العين الصلاة) بما جاء اسلوب البناء صادراً عن مقتضى المعنى ومحيطاً به.

و) المعنى التعبيري

المعنى التعبيري هو ماسبق ايضاحه في المكون التصويري بوصفه معنى بيانياً صادراً عن اسلوب التشبيه البليغ بالشكل المتناسب الباعث على الايضاح والتأثير والإقناع، فالمعرفة معلومة ولتقرير حالها تشبهت برأس المال للتعبير عن معنى اصل النماء الذي يدر خيراً وعطاء، وهكذا في العقل والحب والشوق وذكرالله سبحانه

حين تشبهت بـ:اصل الدين والأساس والمركب والأصل والأنيس؛ وبها يلفت النظر ان المشبه شأن معلوم ومعروف وجيء بالمشبه به إما لتقرير كونه معلوماً معروفاً مثل: الاساس والمركب والشوق والانيس والسلاح والرداء، او لبيان إمكان المشبه به كما في: كنزي وسلاحي وقوتي، او لبيان حال المشبه كما في: رفيقي وفخري وشفيعي والصلاة. واقتران الغرض البلاغي بثلاثة موجهات رئيسة هي: تقرير حال المشبه وبيان امكانه وبيان حاله،يعززالفاعلية الإبلاغية للحديث، والبث الأقناعي ولاسيما في عناصره: العاطفية والعقلية والتربوية. وهوية المعنى التعبيري هنا نبوية شريفة لغلبة الصدق فيها على مجرد الاقناع، ولاحتفالها بالحقيقة الموصولة بواقع صائب، والصدور الفني فيه عن صواب الحقيقة الدائم بما بدت الصياغة فيه لغة تعبير واقناع باليقين اكثر منها بمجرد الصياغة الفنية للخطاب.

في جملة (المعرفة رأس مالي) ايحاء بمعنى عمومية الرسالة المحمدية التي يشترك في الحاجة لها الناس كل الناس، فالمعرفة رأس مال كل عاقل، ولكنها حين تجيء عنواناً في سنة نبوية مشرفة بالوحي فذلك موصول بشموليتها للناس كافة، وجاءت بعدها جملة (العقل أصل ديني) لتوكيد المعنى نفسه وتفصح عنه بشمولية اعمق وأدق في التوجيه، ثم جملة (الحب اساسي) ليكون الانتماء للفطرة الأنسانية ثرياً في نقائه، وقد جاءت جملة (الشوق مركبي) لتعميق ذلك وثرائه، وبين الجملتين الاولى والثانية صلة من وعي عميق،كما بين الجملتين الثالثة والرابعة صلة من قلب نقي،وثريا الجمل الاربع في الجملة الخامسة (ذكرالله انيسي) اما الجمل الاثنتي عشرة الاخرى فتجليات عن الجمل الخمس الاولى،مع ان المعنى التعبيري احتفل بالتقابل بين الالفاظ على نحو او اخر من مثل (المعرفة والعقل، الحب والشوق، ذكرالله والصلاة، الجهاد والصبر، الطاعة والرضا، الزهد والفقر...)بما يظهر فيه حديث

المعرفة مكتنزاً بالثوابت التي ينبني عليها الوجود من عقل وعاطفة وصدق وصبر وذكر وصلاة وعلم ومعرفة وجهاد.حتى استمد الحديث عنوانه من احاطة بعناصر المعرفة من عقلية ونقلية ووجدانية احاطة تبعث على التدبر والتأمل والتفكير.

الخلاصة

قدم البحث قراءة في حديث المعرفة اتخذت من مكونات الاسلوب الستة: (المعجم، الإيقاع، التركيب،التصوير، البناء، المعنى) آليات قراءة لأجل اظهار خصائص الاداء الاسلوبي في كشفها عن المعنى النبوي وتعبيرها عنه، وقد اجتهدت القراءة في بيان الحقول الدلالية التي توزع المعجم عليها والصورة الإيقاعية التي انتظم عليها بناء الحديث في التعبير عن المعنى، وخصوصية التركيب في لغة الحديث موصولة بالمعنى النبوي المعبر عنه، وأسلوب التصوير البياني الرئيس اعني (التشبيه) وكيفية اداء المعنى بالصدور عنه.

وبناء الحديث بشكليه: الافقي والعمودي وصلتهما في الاحياء بالمعنى بوصفه مجموعة معيطات عقلية وعاطفية وروحية صيغت ببيان نبوي حاملة معنى نبوياً شاملاً في قصديته الإبلاغية غير مقيد بزمان او مكان، عاماً في انسانيته غير محدد بفئه او قومية، موصولاً بالتعبير عن الحياة والإيحاء بكيفية بنائها بوصفها حقائق دائمة الازدهار أكثر منها وقائع متغيرة لا ثوابت لها، لذا عملت القراءة على تأمل أسلوب الحديث موصولاً بكيفية ادائه المعنى التعبيري.

١) الشفا بتعريف المصطفى، القاضي: عياض،١/ ٨٥ وكشف الخفاء، العجلوني،٢/ ٥١٨، وصفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم، السيوطي،١/ ٢١. وتخريج احاديث

الاحياء، العراقي، ٤/ ١٦١. والفوائدالمجموعة، الشوكاني، ١/ ٣٢٦

٢) نظرية البيان العربي، د.رحمن غركان، ص.

٣) منهاج البلغاء، حازم القرطاجني، ص٣٦٣.

٤) ثلاث قضايا حول الموسيقا في القران، نعيم اليافي، ص٩٠.

٥) الاسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، ابتسام احمد حمدان، ص٨٧.

٦) يرى القرطاجني وبحسب مايأخذ عنه احمد مطلوب في معجم المصطلحات البلاغية ان التفريع هو: ان يصف الشاعر شيئاً ما، ثم يلفت الى شيء اخر، يوصف بصفة مماثلة او مخالفة لما وصف به الأول، فيستدرج من احدهما الى الأخر، ويستطربه اليه، على جهة تشبيه او مفاضلة، او التفات او غير ذلك، مما يناسب به بعض المعاني وبعض،فيكون ذكر الثاني كالفرع عن ذكر الأول، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، احمدمطلوب، ٢/ ٣٩٦-٣٩٧.

٧) اسرار البلاغة، الجرجاني، ص٨١.

المصادر والمراجع

١) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، د.ابتسام احمد حمدان، دار القلم، سورية –حلب،١٩٩٧.

٢) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ت: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨.

٣) تخريج احاديث احياء علوم الدين للعراقي وابن السبكي والزبيدي،محمود بن محمد الحداد ابو عبد الله،دار العاصمة،١٩٨٧.

٤) – صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم، السيوطي، مكتبة الوراق.

٥) الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة، محمد بن علي بن محمدالشوكاني، المكتب الأسلامي – بيروت، ط١٤٠٧،٣.

٦) كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس، اسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني الدمشقي، مكتبة القدسي، جامعة كاليفورينا، ٢٠٠٧.

٧) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.احمد مطلوب، مكتبة لبنان – ناشرون، بيروت،١٩٩٦.

٨) منهاج البلغاء وسراج الادباء، حازم القرطاجني، ت: محمد بن الحبيب بن الموجه، دار الكتب الشرقية، تونس،١٩٩٦.

٩) نظرية البيان العربي، د.رحمن غركان، دار الرائي للدراسات والنشر،٢٠٠٨.

البحوث:

١) ثلاث قضايا حول الموسيقى في القران، نعيم اليافي، مجلة التراث العربي – دمشق– العدد (١٧) لسنة ١٩٨٤.

٢) عودة الى موسيقى القران الكريم، نعيم اليافي، مجلة التراث العربي، عدد ٢٥–٢٦، دمشق،١٩٨٧.